الحرف العربى فى اللغات غير العربية
اللغة الفارسية أنموذجاً

أ.د هويدا عزت محمد أحمد

مراحل تطور اللغة الفارسية ومدى تأثرها باللغة العربية

يتفق علماء اللغة على أن اللغة الفارسية هى إحدى اللغات التى تنتمى إلى مجموعة اللغات الهندوأوربية التى تنتشر فى المناطق الواقعة من الهند حتى أمريكا واستراليا وجزء من أفريقيا. وتتألف هذه المجموعة من لغات عدة، منها: الهيتية، الهندوإيرانية، الأرمينية، البالتية، الإسلاوية، الجرمانية وغيرها. وما يهمنا فى هذا المقام هو اللغة الهندوإيرانية، والتى يطلق البعض عليها اللغة الآرية وهى اللغة المشتركة بين الهنود والإيرانيين القدامى. وكما يتضح من اسمها، فهى تتضمن فرعين من اللغات: الهندية والإيرانية. أما عن اللغات الإيرانية فكان لها الرواج فى مناطق شاسعة تمتد من الجنوب حتى خليج فارس وبحر عمان، ومن الغرب إلى ما بين النهرين وأرمنستان، ومن الشمال إلى جبال القوقاز وصحراء آسيا الوسطى، كما انتشرت فى الشرق فى أرجاء أفغانستان وأجزاء من أراضى باماير وحتى حافة نهر السند.١

وكانت لإيران القديمة لغتان، هما: اللغة الفارسية القديمة، وانتشرت فى المناطق الجنوبية، وكان لها الذيوع فى عهد الهخامنشيين (٥٥٩ : ٣٣١ ق . م) وكتبت بالخط المسمارى. واللغة الأفستائية، وانتشرت فى المناطق الشرقية، والأثر الوحيد المتبقى عنها هو كتاب الأفستا وكانت تكتب بالخط الأفستائى.٢ أما عن اللغة الإيرانية الوسيطة، فهى اللغة الفاصلة بين اللغات القديمة واللغة الحالية لإيران، وكان ظهورها فى أواخر العهد الهخامنشى، وقد انقسمت إلى فرعين: اللغة البهلوية (لغة الساسانيين) واللغة البارتية (لغة الأشكانيين)، كتبت الأولى بالخط البهلوى والثانية بالخط الأشكانى. هذا إلى جانب وجود عدد من اللغات الإيرانية الأخرى كالسغدية والسكائية والخوارزمية.٣

وبعد ظهور الإسلام فى إيران، ودخول الفرس فى دين الله مختارين، تسابقوا إلى تعلم اللغة العربية التى نظروا إليها نظرة تقديس بصفتها لغة القرآن الكريم والدين الجديد. وأصبحت اللغة الرسمية التى يستعملها الفرس فى حياتهم العامة، وظلت هى اللغة الوحيدة المستخدمة فى إيران طوال القرنين الأول والثانى الهجريين، وبمرور الوقت، نسى الإيرانيون الكتابة البهلوية، وأصبحوا لايعرفون سوى الخط العربى، كما استعملوا الكلمات العربية محل الكلمات الفارسية المندثرة، ودون العلماء الفرس مؤلفاتهم ورسائلهم بالعربية، وكان منهم كبار العلماء فى اللغة والنحو والفقه والتفسير والتأريخ.٤ وظلت اللغة العربية هى اللغة الأدبية الأولى فى إيران، وحتى بعد أن استقلت اللغة الفارسية فى القرن الثالث الهجرى نتيجة لحركة الشعوبية، فإن أدباء إيران وعلماءها حرصوا أشد الحرص على إجادة اللغة العربية والتخصص فيها وحظيت العلوم العربية باهتمام كل مثقف إيرانى.

أما عن اللغة الفارسية التى ظهرت بعد الإسلام، والتى اتفق على تسميتها باللغة الدرية، فكان لها الذيوع فى الجنوب والجنوب الغربى من إيران، ولم تظهر بالشكل الذى كانت عليه من قبل، حيث ظهرت فى حضانة اللغة العربية وتحت رعايتها، بل وتحت تأثيرها الشديد. ودخل المعجم العربى برمته تقريباً فى المعجم الفارسى، وكانت المصطلحات الأكثر ذيوعاً بين الفرس آنذاك هى المصطلحات الدينية العربية، كما دأب الإيرانيون على استعارة كل ما احتاجوا إليه من ألفاظ عربية للتعبير عن متطلبات النهضة والمدنية، واستعانوا كذلك ببعض قواعد اللغة العربية، واستخدموا أوزان الشعر العربى فى الشعر الفارسى بكل بحوره وقوافيه.٥ ولم يتمكن الخط البهلوى من الصمود، حيث انحصر استعماله لدى أتباع الدين الزرادشتى، وسرعان ما اندثر من بين الإيرانيين لارتباطه بالديانة الزرادشتية، وأقبل الفرس على الألفباء العربية بجميع حركاتها وصورها، وجعلوها وسيلة لكتابة لغتهم الفارسية الجديدة بدلاً من الخط البهلوى، واختلف تلفظ بعض الحروف فى اللغة الفارسية عنه فى اللغة العربية، كالتالى:

- الحروف ث ، س ، ص تنطق س.
- الحروف ذ ، ز ، ض ، ظ تنطق ز.
- الحرفان ت ، ط ينطقان ت.
- الحرفان ح ، هـ ينطقان هـ.
- الحرفان ع ، أ ينطقان أ.
- حرف التاء المربوطة ة/ـة فى الكلمات العربية الدخيلة على اللغة الفارسية يلفظ هـ/ـه صامتة أو تاء مبسوطة ت.
- حرف الواو يلفظ مثل حرف الـ v

فى الإنجليزية إذا سبقه حرف متحرك (ميوه بمعنى فاكهة) أو إذا كان أول حرف فى المقطع (آواز بمعنى صوت). ويعدل عن قرائته إذا وقع بين حرفى الخاء والألف أو الخاء والياء (خواهر بمعنى أخت/خويش ضمير بمعنى نفس).

وحينما مست حاجتهم إلى أربعة حروف لأداء أربعة أصوات خاصة بلغتهم الفارسية، وانعدم وجودها فى الأبجدية العربية، انتخبوا أربعة أحرف للدلالة عليها من بين حروف الألفباء العربية وأضافوا عليها، وهى كالتالى:

. ب ← پ ليقابل الصوت p فى الإنجليزية. . ج ← چ ليقابل الصوت ch فى الإنجليزية.

. ز ← ژ ليقابل الصوت j فى الإنجليزية. . ك ← گ ليقابل الصوت g فى الإنجليزية.٦

وقد حرص الإيرانيون كل الحرص على هذا الخط، وتفننوا فيه، واستنبطوا منه أنواعاً جميلة اختصوا بكتابتها حتى أصبحت معروفة بالخطوط الفارسية تمييزاً لها على الخطوط العربية المعروفة.

الجهود الأولى لتغيير الحرف العربى فى اللغة الفارسية

لقد دار جدال طويل بين المفكرين الإيرانيين حول عيوب الأبجدية العربية الموجودة فى اللغة الفارسية، وحاول بعضهم اتخاذ اجراءات حاسمة لإصلاح الخط الفارسى، وكانت الجهود الأولى على يد كل من حمزة الإصفهانى وأبى الريحان البيرونى اللذين انتقدا أسلوب كتابة الخط الفارسي وطالبا بتطويره.٧ لكن باءت دعوتيهما بالفشل، وجاء من بعدهما ميرزا فتح على آخوند زاده (ولد عام ١٨١٢م) ونادى بوجوب ابتكار أبجدية جديدة تتسم بالسهولة واليسر فى العالم الإسلامى، لإيمانه الراسخ بأن الأبجدية الحالية تعد أحد الأسباب الرئيسية لتخلف الدول الإسلامية عن ركب المدنية الحديثة. ومن هذا المنطلق، انتهى من إعداد أبجديته المقترحة عام ١٨٥٧م فى رسالة من عشرين صفحة بعنوان "الأبجدية الجديدة"، تحدث فيها عن تاريخ الخطوط بوجه عام، وعيوب الأبجدية فى العالم الإسلامى، وطالب بوجوب تغيير الخط العربى فى اللغة الفارسية أو اصلاحه، مستنداً فى ذلك على أن الأبجدية من الأهمية بمكان فى رقى الشعوب وتقدمها. وتألفت الأبجدية المقترحة من قبله من حروف منفصلة بلا تنقيط.٨ وقدم رسالته تلك إلى الصدر الأعظم العثمانى فؤاد باشا لعرضها على أعضاء الجمعية العلمية العثمانية فى اسطنبول، لكنهم اعترضوا عليها ورفضوها لصعوبة طباعتها وإلحاقها الضرر بالتراث الإسلامى. فاقترح أبجدية أخرى مقتبسة من الخط اللاتينى تكتب من اليسار إلى اليمين، ويسمح فيها باستخدام التنقيط، وكتب بها رسالتين بعث بهما إلى وزير العلوم الإيرانى فى طهران عام ١٨٦٨م، وجوبه مقترحه هذا أيضاً بمعارضة شديدة، إلا أنه لم ييأس، وعكف على تدوين رسالة ثالثة بعث بها إلى الصدر الأعظم العثمانى عالى باشا، ومُنى مسعاه هذه المرة أيضاً بالفشل، فاقترح فى رسالة رابعة أبجدية مقتبسة من الأبجدية الروسية، تتألف من أربعة وعشرين حرفاً صامتاً، وعشرة حروف صوتية، وثمانية حروف لنطق الأصوات الخاصة باللغة العربية لتتحدث بها كافة الشعوب الإسلامية من عرب وعجم وترك وطاجيك دون عناء، وأرسل العديد من الرسائل إلى حكومات كل من إيران وتركيا وروسيا دون جدوى. ٩

ظهر من بعد ميرزا ملكم خان (ولد عام ١٨٣٤م) وهو من أشد المروجين لفكرة إصلاح الخط الفارسى، وكان يرى أن الأبجدية الفارسية فى صورتها الحالية هى المعوق الأساسى فى سبيل اللحاق بالمدنية الأوربية، وأن انعدام الحرية والحقوق الفردية وغياب الأمن على الأرواح والأموال وتفشى الظلم والاستبداد كلها من التأثيرات الاجتماعية لنقص الأبجدية، وأنه لا سبيل للمسلمين لاكتساب الحضارة الحديثة إلا بإصلاح الخط.١٠ ولم تكن هذه الرؤية هى الباعث الأول والأساسى لدى ملكم خان لاهتمامه بقضية إصلاح الخط، فهو يرى أن الخط أساس اللغة، وأن اللغة أساس الوحدة القومية، شأنها فى ذلك شأن المذهب الدينى.١١ أى أن مسألة تغيير الخط من وجهة نظره كانت تتخذ طابعاً وطنياً بغرض تحقيق الوحدة القومية إلى جانب اللحاق بركب المدنية الحديثة. أما الخط المقترح من قبله فكان مقتبساً من الحروف اللاتينية، وفيه تُفكك الحروف العربية لتيسير عملية طباعتها وتكون على نسق واحد. بمعنى أنه ينبغى أن تُقوَم زوايا الأحرف بحيث تكون جميعها قائمة، وأن تُقوَم دوائرها أيضاً وتكتمل استدارتها قدر الإمكان.١٢ وكتب ملكم خان أبجديته المقترحة فى رسالتين، هما: "مبدأ وترقى" و "شيخ ووزير"، كما طبع بها كتابين تحت عنوان "گلستان سعدى" و "اقوال حضرت ملا". ١٣بيد أن أبجديته لم تحظ بالقبول لما تضمنته من عيوب عاقت دون تعلمها وانتشارها.

ومن الذين واصلوا محاولات تطوير الخط الفارسى كذلك ميرزا يوسف خان مستشار الدولة التبريزى (تولى سفارة إيران فى بطرسبرج عام ١٨٧٢م) وكان يرى، كنظيريه السابقين، أن تقدم البشرية لا يتحقق إلا بأبجدية سهلة بسيطة، وأن تخلف الشعوب الإسلامية يرجع إلى مشاكل الأبجدية العربية وصعوبتها. بيد أنه فطن إلى السبب وراء عدم إمكانية تغيير الخط ألا وهو الوازع الدينى لدى المسئولين وعدم رغبتهم فى التشبه بالإفرنج، لذا حرص على استصدار فتوى

صريحة عام ١٨٧٩م من مجتهد مشهد ميرزا نصر الله، تفيد بجواز التغيير فى الخط، وابتكار خطاً جديداً طالما الهدف هو تسهيل سبل التعليم. ثم عكف على تدوين رسالة عرض فيها آراءه ومقترحاته فى هذا الشأن، وطبعها فى طهران عام ١٨٨٥م تحت عنوان "اصلاح الخط الإسلامى".١٤

ولا ريب أن الخطوط المقترحة السالفة الذكر لم تكن تخلو من النقائص والعيوب، الأمر الذى أفضى إلى عدم إمكانية الترويج لها، هذا من جانب. ومن جانب آخر، لم يكن من اليسير على الحكومات الإسلامية فى ذلك العهد تقبل مثل هذه الأفكار التى غالباً ما كانت بدافع من التأثيرات الأوربية، وعدوا تنحية الأبجدية العربية المرتبطة بالدين الإسلامى والتراث والتشبه بالإفرنج من قبيل الخيانة الوطنية والدينية. وعلى الرغم من ذلك، لم تكف الأصوات المطالبة بإصلاح الخط، سواء فى إيران أو فى غيرها من البلدان الإسلامية وبخاصة فى تركيا، حيث واصل الأديب التركى الشهير نامق كمال (١٨٤٠ : ١٨٨٨م) جهوده فى هذا المجال، ودون رسالة تحت عنوان "حول مسألة إصلاح الحروف"، انتقد فيها مقترحات كل من آخوندزاده وملكم خان، ورأى إمكانية المحافظة على الأبجدية العربية مع التعديل عليها بما يتواءم ونطق اللغة التركية، وشاركه فى هذا الرأى بعض الأدباء من أمثال: إبراهيم شناس وأبى الضياء توفيق وأمثالهما. كما أصدرت مجموعة من الأدباء مجلة بإسم الأقلام الشابة (كنج قلملر) عام ١٩١١م ووضعوا أسساً لبرنامجهم تمثلت فى:

١. عدم استعمال القواعد العربية أو الفارسية والتراكيب المبنية عليهما سوى فى بعض الحالات المستثناة.
٢. كتابة الكلمات العربية والفارسية وفقاً لتلفظها فى التركية وليس وفقاً لطريقة املائها فى اللغة الأصلية.
٣. وجوب الإبقاء على بعض الكلمات العربية والفارسية التى استقرت فى لغة الحديث أو التى أصبحت من قبيل المصطلحات العلمية والقانونية.
٤. ايجاد المرادفات التركية للكلمات العربية والفارسية.
٥. اعتبار لهجة اسطنبول هى الأساس للغة التركية.١٥

وظل الإفراط فى هذا الاتجاه يتنامى يوماً بعد يوم حتى تولت حكومة مصطفى كمال أتاتورك زمام الأمور، وخطت خطوات جديدة نحو صبغ الدولة العثمانية بالصبغة العلمانية، فألغت وزارة الأوقاف فى مارس من عام ١٩٢٤م، وحرمت بعد ذلك جميع الطرق الصوفية، وحددت عدد المساجد، واتخذت من الدعوة إلى الاقتباس من المدنية الغربية هدفاً أساسياً لها. وقرر كمال أتاتورك القيام بثورة جديدة استهدفت اللغة، وادعى أن الأحرف العربية لا تتجاوب تجاوباً كاملاً مع اللغة التركية وطريقة نطقها، لذا بقيت قراءتها وكتابتها وقفاً على رجال الدين والقلة المثقفة. بينما أراد تعميم القراءة والكتابة على جميع أفراد الشعب حتى يصبح العلم فى متناول الجميع، والطريقة الوحيدة لذلك هى استخدام الحرف اللاتينى بديلاً عن الحرف العربى. واستدعى فريقاً من أساتذة اللغة، وشكل لجنة لدراسة القضية وتعديل الحروف اللاتينية بحيث تتلاءم وأغراض الكتابة التركية. ثم استصدر قراراً من الجمعية الوطنية الكبرى ينص على أن الكتابة بالحروف اللاتينية أمرٌ إلزامي فى البلاد كافة اعتباراً من شهر نوفمبر من عام ١٩٢٨م، ورفض أية معاملات فى دوائر الدولة تكتب بالحروف العربية، ثم أمر بترجمة القرآن الكريم وتلاوة الصلاة باللغة التركية.١٦ وكان لهذه الإجراءات فى تركيا صداها الواسع على جارتها إيران، حيث عادت الأصوات تنادى ثانيةً بوجوب تغيير الخط الفارسى كما سنرى من بعد.

الاتجاهات المعاصرة لتعديل

الأبجدية فى اللغة الفارسية

اهتم أدباء إيران فى عصرنا المعاصر بقضية تطوير الخط الفارسى وتعديله لأعوام طوال امتدت منذ بدايات القرن العشرين وحتى عهد قريب. وكان من بين هؤلاء الأديب الإيرانى السيد تقى زاده (ولد عام ١٨٧٨م)، حيث قام بتأليف رسالة بعنوان "مقدمة فى التعليم العالى" عام ١٩٢٨م، قدم من خلالها دوافع وجوب تغيير الأبجدية العربية فى اللغة الفارسية واقترح خطاً مقتبساً من الأبجدية اللاتينية.١٧ كما ابتكر السيد كاظم زاده ايرانشهر (١٨٨٣: ١٩٦١م) أصولاً جديدة لتعليم الأبجدية الفارسية بطريقة أكثر سهولة فى كتابتها وقرائتها، وألف رسالة باللغة الألمانية بعنوان "الطريق الجديد لإصلاح الأبجدية لدى الشعوب الإسلامية"، وأرسل النسخة الأصلية منها إلى وزارة المعارف الإيرانية عام ١٩٣٣م.١٨ وكان أبو القاسم آزاد كذلك ضمن المهتمين بالأبجدية، وشكل جمعية بإسم "مؤيدو الأبجدية السهلة" عام ١٩٤٣م، وقد حرص على إضفاء الصبغة الرسمية على مقترحات الجمعية المذكورة، فعرضها على مجلس الشورى الوطنى فى دورته الخامسة عشر، على أن يتم نشرها فى أرجاء الدولة بعد التصديق عليها، بيد أن القدر لم يمهله ووافته المنية قبل افتتاح المجلس.١٩

وتابع سعيد نفيسى (ولد عام ١٨٩٥م) جهود سابقيه فى هذا الصدد، واقترح أبجدية مستمدة من الحروف اللاتينية تختفى فيها الحروف المركبة أو الحروف ذات العلامات قدر الإمكان، على أن تتحد الحروف التى تتشابه فى الأصوات فى شكل

واحد عند الكتابة، وقام بتشكيل جمعية تحت مسمى "جمعية إصلاح الخط" عام ١٩٥٨م فى طهران، تولى رئاستها بنفسه وانضم إلى عضويتها العديد من الأدباء المهتمين بهذه القضية. ونشرت هذه الجمعية أبجديتها المقترحة على صفحات الجرائد، تستهلها بالمبررات وراء اقدامها على ذلك الإجراء، ودار نقاش طويل حول هذا الموضوع فى أجهزة الإعلام الإيرانية المختلفة حتى تم تأسيس جمعية أخرى فى طهران عام ١٩٦٣م تحت مسمى "جمعية الإرتقاء باللغة الفارسية"، وأصدرت صحيفة تحت عنوان "أساس الثقافة" - بنياد فرهنگ - واقترحت أبجدية بإسم "أبجدية فارسية بخط عالمى" - الفباى فارسى به خط جهانى - وناشدت القراء المشاركة فى تقديم المقترحات فى هذا الشأن، وتابعتها صحفٌ أخرى، مثل: "روشنفكر" و "سپيد وسياه"، حيث ناقشت على صفحاتها عيوب الأبجدية العربية، وطرحت عدة حلول مقترحة لإيجاد الحل الأمثل لتقديم أبجدية يسيرة بعيدة كل البعد عن التعقيد.٢٠

كما كان يحيى آرين بور أحد مؤيدى تغيير الأبجدية العربية فى اللغة الفارسية، ورأى فى الروس والترك٢١ مثالاً يجب أن يحتذى به، وطالب علماء اللغة بضرورة توخى الدقة فى اختيار الأبجدية الجديدة، ومراعاة أن يكون لكل صوت فيها شكله المميز البسيط، وألا يكون هناك مكان لأصوات تنطق ولا تكتب، حتى تتم عملية القراءة والكتابة بصورة أيسر من ذى قبل.٢٢ ويعتبر آرين بور أن عيوب الأبجدية الحالية هى السبب الرئيسى وراء جهل العامة فى إيران، فيقول:

"إن تشابه الحروف وتعدد أشكالها، وعدم وجود الحروف الصوتية، ووجود التنقيط والسنون والخطوط العلوية وما إلى ذلك من عيوب اللغة الأخرى، أمرٌ يصعب معه تدوين الخط، ويزيد من تكاليف طباعته، وبالتالى ترتفع أسعار الكتب والصحف والمجلات، ويتم حرمان طبقة الفقراء من نعمة الإطلاع".٢٣ كما اعتبر الخط الفارسى أحد العوامل التى تعوق نشر الثقافة الفارسية على المستوى العالمى، يقول:

"بسبب صعوبة قراءة الخط الفارسى وكتابته، يأبى الأجنبى تعلمه، وتقف إيران عاجزة عن نشر ثقافتها وتوصيل أفكارها إلى العالم".٢٤

وبعد أن تناولنا آراء بعض الأدباء المؤيدين لإصلاح الخط الفارسى، كان من الضرورى أن نتعرض بشئ من التفصيل لأهم البواعث التى حثتهم على القيام بمثل هذه المحاولات من وجهة نظرهم الخاصة :-

أولاً: إن اللغة الفارسية، شأنها كشأن سائر اللغات، لا تخلو من الحركات، لكن أبجديتها لا تتخذ حروفاً للدلالة عليها، بل تنوب عنها حركات شكلية دون أن تكون جزءاً من أجزاء الكلام (كالفتحة والكسرة والضمة)، وعليه يصبح لزاماً على القارئ أن يخمن بالقريحة الذهنية النطق الصحيح للكلمة وفقاً للمعنى الذى يبغيه الكاتب. وأمثلة ذلك عديدة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- خَرْد (مستنقع) - خُرْد (ضئيل) - خَرَد (قصدير) - خِرَد (ذكاء).
- دَه (العدد عشرة) - دِه (قرية) - دُه (ذيل).٢٥

ثانياً: التشابه الكبير فى نطق بعض الحروف، مثل:

- س ، ص ، ث (تنطق س)، ذ ، ز، ض، ظ (تنطق ز)، ت ، ط (ينطقان ت).
- فضلاً عن تشابه بعض الحروف فى الكتابة مع وجود فوارق فى مواضع التنقيط، مثلما نجد فى الحروف: "ب ، پ ، ت ، ث ، ن"، "ج ، چ ، ح ،خ" ، "د ، ذ"، "ر ، ز ،ژ" ، "س ، ش"، "ص ، ض"، "ط ، ظ"، "ع ، غ"، "ف ، ق".
- أو بإضافة خط علوى لتمييز حرف عن آخر، كما فى حرفى: "ك ،گ".٢٦

ويعتبر هذا العامل من أشد العوامل التى تزيد رسم الكتابة الفارسية لبساً وارتباكاً، حيث يشتمل أكثر من نصف الأبجدية على نقاط متباينة، ومثل هذا الوضع، من وجهة نظرهم، يعرض القارئ للتشتت وعدم إدراك المعنى إذا ما أخطأ الكاتب أو الطابع فى موضع التنقيط أو زال أثره بمرور الوقت، حيث تصير الكلمة مبهمة، وعلى القارئ أن يدرك المعنى عن طريق الحدس. وقد يزداد اللبس والخلط فى حالة تتابع حروف متحدة فى الرسم لا تتمايز سوى بالتنقيط، خاصة إذا كان رسمها منحصراً فى نبرات صغيرة متماثلة كالأمثلة التالية:

- ببينيد (تشاهدون)، نبتيز (آلة حادة)، نبينه (ابن الإبن من الجيل الخامس)، نيين (الشئ المصنوع من البوص).

ثالثاً: اختلاف نطق حرف الواو للدلالة على أصوات متفاوتة حسب موقعه فى الكلمة، فحيناً يلفظ ضمة ممدودة: خوش (طيب - حسن)، وحيناً يلفظ كحرف V الإنجليزى: آواز (صوت)، وحيناً يعدل عن قرائته: خواهر (أخت)، خويشتن (ضمير بمعنى نفس).

رابعاً: تلفظ بعض الكلمات بصورة تتنافى وشكل كتابتها، مثل: اسمعيل، اسحق، رحمن، جسارتاً ومثلاً.٢٧

خامساً: تعدد رسم الحرف الواحد، حيث يتغير شكل الحرف حسب موقعه فى الكلمة، مثلما يحدث فى حرف الباء فى أول الكلمة وفى وسطها وفى آخرها: "بـ ، بـ ،ب" أو حرف العين: "عـ ، ـعـ ، ع" أو حرف الهاء: "هـ ، ـهـ ، ه".٢٨ وغير ذلك من أمثلة الحروف التى يتغير شكلها تبعاً

لموقعها فى الكلمة. ومثل هذا الوضع يعد حجر عثرة فى سبيل تعلم اللغة الفارسية ورواجها، حيث ينبغى على المتعلم حفظ ما يقرب من مائة وعشرين رسماً لهذه الأبجدية، وهذا أمرٌ غاية فى الصعوبة، خاصةً إذا ما قورن بحال غيرها من اللغات الأجنبية الأخرى.

سادساً: الاختلاف فى طريقة كتابة الكلمات المركبة، فمنهم من يرى ضرورة كتابتها بصورة متصلة، مثلما نجدها فى: جانافرين (خالق الروح)، دانشاموز (تلميذ) ومنهم من يحبذ كتابتها فى صورتها المنفصلة: جان آفرين، دانش آموز.٢٩

سابعاً: تعدد أشكال كتابة بعض المصطلحات أو بعض الكلمات فى حالات الإضافة أو التنكير، مثلما نرى فى الشاهدين التاليين:

- اين است كه، اينست كه، اينستكه، اين استكه (هذا وقد..).
- جامه اى، جامه يى، جامه ئى، جامهء (رداء).٣٠

هذا وقد تبارى مؤيدو تغيير الأبجدية العربية فى اللغة الفارسية فى إيجاد الحلول للخلاص من تعقيدات اللغة، فنادت طائفة منهم بوجوب تطوير قواعد الإملاء الفارسى، وعلى رأسهم د. مظاهر صفا، حيث أيد فكرة انتخاب حرفاً واحداً فى الكتابة للدلالة على عدة حروف، بمعنى أن يستخدم حرف السين مثلاً للدلالة على حروف الـ "ث،س،ص"، وحرف التاء للدلالة على حرفى الـ "ت،ط" وحرف الزاى للدلالة على حروف الـ "ذ،ز،ض،ظ".٣١ لكن كان من الصعوبة بمكان وضع هذا المقترح موضع التنفيذ، لأنه لن يزيد الأمر سوى تعقيداً، فإذا استخدمنا مثلاً كلمة "ثمر"، على النحو التالى "سمر"، فقد يذهب ذهن القارئ إلى معنى الحديث والمسامرة. كذلك الحال بالنسبة لكلمة "صابر"، فإذا كُتبت "سابر"، فكيف يتسنى للقارئ الوصول إلى المعنى المراد!

ورأت طائفة أخرى وجوب تطابق نطق الكلمة مع كتابتها، وعليه تكتب الكلمات: تقوى، مجرى، عقبى، على النحو التالى: تقوا، مجرا، عقبا. كما رأت إمكانية التغاضى عن كتابة الهمزة فى وسط الكلمة أو فى نهايتها، مثل: زايل، وسايل، ابتدا، علما، شعرا، بدلاً من زائل، وسائل، ابتداء، علماء، شعراء. وحبذت كذلك كتابة كلمات طاوس وسياوش وما أشبه على النحو التالى: طاووس، سياووش... وكذلك كتابة الكلمات العربية: زكوة، مشكوة، حيوة، صلوة على النحو التالى: زكات، مشكات، حيات، صلات. وكذلك الأسماء: اسمعيل، اسحق، رحمن، تُكتب: اسماعيل، اسحاق، رحمان.٣٢

أما فيما يتعلق بكيفية كتابة الكلمات المركبة، فقد رأت الأغلبية وجوب كتابتها بصورة منفصلة، كى تتضح أقسام الكلام وتتيسر عملية القراءة، وبالتالى يتيسر فهم المعنى المراد إدراكه، وعليه فهم يفضلون كتابة المصطلحات التالية: وزارتفرهنگ (وزارة الثقافة)، دانشسرايعالى (دار المعلمين العليا)، بانكملى (المصرف الوطنى) على النحو التالى: وزارت فرهنگ، دانش سراى عالى ، بانك ملى. ويطبق ذلك أيضاً على الأدوات التالية: اين (هذا/هذه)، آن (ذلك/تلك)،اى (أيها/ أيتها)،هم (أيضاً) وكذلك الأعداد، فيكتبون: اين مرد (هذا الرجل)، آن زن (تلك المرأة)، اى دختر (أيتها الإبنة)، هم وطن (مواطن)، يك دور (عهد) بدلاً من اينمرد، آنزن، ايدختر، هموطن، يكدور. غير أنهم استثنوا بعض المواضع التى يجوز فيها الوصل مثل: اينرا (هذا/هذه فى حالة المفعولية)، ايشانرا (هم/هن فى حالة المفعولية)، اينكه/آنكه (هذا/ ذلك وقد)، يكروز (يوم)، يكسال (عام)، همچنانكه (مثلما)، وقتيكه (عندما)، درحاليكه (فى حين أن)، بنحويكه (على النحو الذى)...٣٣

وقدم د.فرشيد ورد عشرة مواضع وجب الإلتزام فيها بالفصل بين أجزاء الكلام، وهى:

١. الكلمات التى يبدأ مطلع جزئها الثانى بألف مد، مثل: عشق آفرين (مدح العشق)، دانش آموز (تلميذ)، برق آسا (كالبرق)، گرگ آسا (كالذئب).
٢. التركيبان الإضافى والوصفى، مثل: تخم مرغ (بيض الطيور)، گل سرخ (وردة حمراء).
٣. المصادر المركبة، مثل: اخراج كردن (الطرد)، انجام دادن (الإنجاز)، سخن گفتن (التحدث).
٤. الصفات المشتقة من الأفعال، مثل: از دست رفته (ضائع)، دست پرورده (ربيب).
٥. عند انتهاء مقطع الجزء الأول بهاء صامتة (تقرأ كسرة خفيفة على الحرف الذى يسبقها)، مثل: كشته شده (مقتول)، زده شده (مضروب)، خانهءخراب (دار الفساد، كناية عن الدنيا)، حيله گر (مخادع)، پيشه ور (حرفى)، علاقه مند (مهتم).
٦. حالة العطف، مثل: آمد ورفت (الذهاب والإياب)، خس وخاشاك (الفضلات).
٧. الأسماء المركبة من جذر الفعل، مثل: زن بزن (الضرب/جذرا المضارع من الفعل زدن بينهما باء الزينة)، زن بكوب (السحق/ جذر المضارع من الفعل زدن +باء الزينة+جذر المضارع من الفعل كوبيدن). شست وشو (الاغتسال/ جذر الماضى من الفعل شستن+واو العطف+جذر المضارع من نفس الفعل).
٨. الأسماء التى يسبقها إحدى الأداتين

"بى/با" وتتحول إلى صفة، مثل: بى ادب (غير مؤدب)، بى نظم (غير مرتب)، بى نياز(بلا حاجة)، بى تربيت (بلا تربية)، بى سر وصدا (صامت)، با دين (متدين).

٩. بعض الكلمات التى قد يقع بها اللبس عند كتابتها بشكل متصل، مثل: مسلسلساز (صانع الأسلحة)، اتومبيلفروش (بائع السيارات)، عدالتشعار (مزدان بالعدالة)، شماتتورزى (الشماتة). فمن الأفضل كتابتها على النحو التالى: مسلسل ساز، اتومبيل فروش، عدالت شعار وشماتت ورزى.

١٠. الكلمات التى تعارف على صورتها بشكلها المنفصل، مثل: پيش در آمد (الإقدام)، پس فردا (بعد غد)، پس پريروز (أول أمس).٣٤

ولاشك أن مثل هذه المقترحات لا يمكن أن تكون بمثابة الحكم العام، فثمة كلمات اتفق على كتابتها بشكل متصل، مثل: سيلاب (السيولة)، گلاب (ماء الورد)، دلبر (المحبوب)، شاهراه (الطريق الرئيسى)... كما توجد بعض الأفعال المركبة التى اتفق على كتابتها بشكل متصل، مثل: نـگاهداشتن (الحماية/الرعاية)، دلبستن (الشغف/التعلق)، وكذلك بعض الصفات المركبة، مثل: گمشده (مفقود) وكشمكش (صراع). وعلى هذا فيمكننا انتخاب الأشهر فى الإملاء، دون التقيد بقاعدة موحدة تطبق على جميع الحالات على نحو واحد.

وفى مقابل الطائفة سالفة الذكر، نجد طائفة أخرى وقفت بكل قوتها تدافع عن الهوية الإيرانية والقومية الفارسية باعتبار أن اللغة إحدى مظاهرها، واعتبروا الخط الحالى بأبجديته العربية هو الخط القومى للدولة، وأن اندثاره يعنى فناء الشعب الإيرانى .٣٥ ورأى فريقٌ آخر أن تغيير الخط سيفضى فى النهاية إلى فناء التراث الفارسى، وانقطاع الصلة بين الجيل الجديد وبين كبارشعراء الفرس من أمثال الفردوسى، وسعدى الشيرازى، وحافظ الشيرازى وغيرهم، كما سيحول كذلك دون قراءة القرآن الكريم، والأدعية، وكتب التراث الفقهية والمذهبية، وتذرعوا بأن العيوب والنواقص الخاصة بالنطق والكتابة أمرٌ لا يقتصر فقط على الخط الفارسى، حيث تبرز هذه العيوب أيضاً فى العديد من لغات العالم المتداولة فى عصرنا الحاضر، وقدموا نماذج على سبيل المثال لا الحصر لبعض الكلمات فى اللغة الإنجليزية التى يختلف تلفظها مع شكل كتابتها، مثل كلمة Sugar حيث تنطق Shoogar، وكلمة Was التى تنطق Waz، وكلمة Vase التى تنطق Vaze. كذلك اختلاف نطق الحرف الواحد من كلمة إلى أخرى مثلما يحدث عند نطق حرف الـ U فى الكلمات الآتية: But,Cut,Nut,Our,Out.Put . وأشاروا كذلك إلى اختلاف نطق الحروف اللاتينية من لغة لأخرى، مثلما يحدث عند نطق كلمتى: Journal، Collection فى الإنجليزية والفرنسية.٣٦ كما أشاروا كذلك إلى وجود بعض الحروف التى تكتب ولاتنطق، مثلما يحدث فى حرف الـ K فى أول الكلمة: Know، وحرفى Ph حيث ينطقان F كما فى كلمة Phone وغير ذلك من الأمثلة، لإثبات وجود العيوب الإملائية فى بعض اللغات العالمية وأن الأمر لايقتصر فقط على اللغة الفارسية.٣٧

وعلى نحو ما شاهدنا، انقسم الأدباء فى إيران بين مؤيد ومعارض، وراح كل فريق يثبت بالحجة والبراهين صحة رأيه، وإن كان دعاة إصلاح الخط قد رأوا فى تركيا والشعوب السوفيتية مثالاً يجب أن يحتذى، فنقول إن الأحوال تختلف فى تلك الممالك عنها فى إيران، فإذا كانت الحروف العربية لا تناسب المتحدثين بالتركية، فهى تناسب اللغة الفارسية وتلائمها. ناهيك عن أن تغيير الخط فى إيران سيحدث خللاً لاريب باللغة الفارسية، وستظهر بعض المشاكل التى لا وجود لها اليوم. أما ما قيل بأن تخلف الشعب الإيرانى وعدم لحاقه بركب الحضارة والمدنية الحديثة كان سببه الخط، فهذا رأىٌ لا أساس له من الصحة ومحض افتراء، أو على أقل تقدير لايجب أن نعده السبب الأساسى والوحيد لتخلف أمة. والدليل على صحة ذلك أن تركيا ـ ذلك المثال الأمثل الذى رأوا الاقتداء به والتى استبدلت خطها العربى بالخط اللاتينى ـ قد وصلت نسبة الأمية فيها خلال النصف الأول من القرن العشرين إلى ما يقرب من ٧٠٪ ، فى حين أن نسبة الأمية فى دولة مثل اليابان ـ التى تمسكت بخطها رغم ما فيه من صعوبات عديدة ـ لم تتعد ١٪ .٣٨ والمسألة المهمة الأخرى التى يجب الإلتفات إليها، إنه لو حدث مثل هذا الإنقلاب اللغوى، فسوف يفضى بالحتم إلى قطيعة بين إيران وماضيها الإسلامى من جهة، وبينها وبين إخوانها فى الدين فى سائر الأمصار الإسلامية من جهة أخرى مثلما حدث الآن بالنسبة لتركيا. فلا ينبغى أن يكون الخط ألعوبة فى أيدى بضعة أشخاص، فهو ليس نتاج فكر الأدباء وحدهم تتحكم فيه أهواؤهم وأغراضهم، بل هو تراثٌ حضارى وإبداعٌ فكرى، يجب المحافظة عليه، والعمل على تطويره على أساس علمى محكم، يُراعى فيه الاعتماد على القواعد الأساسية للغة، مع تجنب الاشتباه وتوضيح المعنى فى أبسط صوره.

الدعوة إلى نبذ الألفاظ العربية وإحياء الألفاظ الفارسية المهجورة

انتقلت المفردات العربية إلى اللغة الفارسية عن طريق التبادل التجارى منذ عهد بعيد إلا أنها اشتدت فى عهد الدولة الساسانية (٢٢٦: ٦٢١م)، حيث كانت

الجزيرة العربية سوقاً لبضائع فارسية وهندية، ومحطات لقوافل تجارية متجهة إلى بلاد الروم واليمن، وكان فيها ممثلون تجاريون لفارس وبيزنطة، كما كانت الدراهم الفارسية من العملات الرائجة آنذاك.٣٩ إلا أن هذه العلاقات قد بلغت منتهاها بعد دخول الإسلام إيران، حيث امتزجت الثقافتان العربية والفارسية وتكونت منهما ثقافة إسلامية واحدة، وتأثرت اللغة الفارسية تأثراً شديداً بالمفردات العربية، بحيث أصبح من غير الممكن أن يدون الأديب الفارسى نصاً ويكون خالياً من الألفاظ العربية. ونورد فى هذا المقام شاهدين، أحدهما شعرى والآخر نثرى للدلالة على ذلك، يقول إيرج ميرزا (ولد عام ١٨٧٤م):

فتنه ها بر سر دين ووطن است
اين دو لفظ است همه اصل فتن است
صحبت دين ووطن يعنى چه
دين تو ووطن من يعنى چه
همه عالم همه كسى را وطن است
همه جا موطن هر مرد وزن است
چيست در كله تو اين دو خيال
كه كند خون مرا بر تو حلال٤٠

(بمعنى: توجد الفتن على رأس الدين والوطن، فهذان اللفظان هما أصل الفتن. ماذا يعنى الحديث عن الدين والوطن؟! وماذا يعنى دينك ووطنك؟! العالم أجمع وطنٌ للجميع، وكل مكان هو موطنٌ لكل رجل وامرأة. كيف يكون فى رأسك هذان الوهمان وتحل دمائى عليك؟!)

ويقول الأديب محمد بن عبد الوهاب القزوينى:

"... وگاهگاه از مكاتبات ايشان كه بدبختانه مثل باران در صحراى عربستان نادر است مستفيض مى شوم هرچه مى خواهيد وبخيال تان مى رسد از ايشان جويا شويد كه بقول عرب ها حدث عن البحر ولا حرج ...اما در خصوص ترجمهء حال بنده كه خواسته بوديد همين مسئله باعث ترديد اين بنده شد كه چگونه خودم بدست خودم شرح حال خودم را بنويسم وهر وقت مى خواستم بنويسم يك نوع انفعال باطنى بمن دست مى داد كه از نوشتن منصرف مى شدم..."٤١ (بمعنى: ومن وقت لآخر استزيد من مكاتباتهم التى هى من سوء الطالع نادرة ندرة المطر فى الصحراء العربية، وكل ما تريدونه أو تتخيلونه ابحثوا عنه لديهم وفقاً لمقولة العرب "حدث عن البحر ولا حرج" ... لكن فيما يتعلق بسيرتى الذاتية التى طلبتموها، فهى نفسها كانت سبباً فى تأخرى فى الرد، فكانت باعثاً لترددى فترة من الوقت، فكيف يتسنى لى أن أكتب بنفسى وبيدى شرحاً لأحوالى؟ وكلما رغبت فى الكتابة يعترينى شعور داخلى يمنعنى عنها...)

وفى الشاهدين السابقين، يتجلى بوضوح استخدام الأديبين لعدد كبير من المفردات العربية على الرغم من وجود المرادف الفارسى لها. ولاريب أن كثرة استعمال الألفاظ العربية فى اللغة الفارسية قد أثار ردود أفعال مضادة واكبت حركة التجديد التى ظهرت فى أوائل القرن العشرين فى إيران، حيث ظهرت طائفة من الأدباء طالبت بالتخلى عن الكلمة العربية باعتبارها دخيلة على اللغة الفارسية التى تنتمى إلى مجموعة اللغات الهندوأوربية، وكان على رأس هذه الطائفة الكاتب الإيرانى الشهير محمد على فروغى (ولد عام ١٨٧٧م)، فقد بنى دعوته على أساس أن الأصل فى كل لغة هو خلوها من العناصر الأجنبية، فإن كان اختلاط اللغة الأصلية بعناصر خارجية أمراً لامناص منه بحكم احتكاك الشعوب وتطور الإنسانية، فإن هذا الاختلاط عادةً ما تكون له حدودٌ لا يتجاوزها ولسد حاجة تظطر إليه هذه اللغة، يقول:

"...إن اختلاط العربية بالفارسية قد تجاوز حد المعقول، لأن الألفاظ العربية زادت بصورة خطيرة، وشملت كل المطالب المادية والمعنوية، سواء كانت اللغة الفارسية فى حاجة إليها أو لم تكن، والأسوأ من ذلك، إن الألفاظ العربية قد دخلت اللغة الفارسية بصيغها وقواعدها النحوية والصرفية، وكذلك بتراكيبها الخاصة، مما أثر فى أسلوب البيان الفارسى".٤٢

كما كان الأديب تقى زاده من المؤيدين لإصلاح اللغة الفارسية المطالبين بطرد الألفظ العربية منها (لكنه عدل عن رأيه هذا بعد اثنى عشر عاماً)، حيث نشر مقالاً عام ١٩٣٥م تحت عنوان النهضة القومية الأدبية - جنبش ملى ادبى - فى العدد الخامس من مجلة التربية والتعليم، يطالب فيه بتجنب الاقتباس من اللغات الأجنبية، واقترح تشكيل جمعية علمية متخصصة تقوم بمهمة إعداد معجماً يحوى جميع الألفاظ العربية والأجنبية المستخدمة فى اللغة الفارسية، التى تمس حاجة اللغة إلى استخدامها، وينعدم وجود المرادف الفارسى لها، وأن تصدر الجمعية قراراً بعدم استعمال غيرها من الألفاظ الأجنبية والعربية فى اللغة الفارسية إلا بعد الحصول على إذن رسمى.٤٣ ولاشك أن هذا الاقتراح لم يكن من السهل تنفيذه، فاللغة الفارسية لاتستطيع أن تسد احتياجات شعوبها بدون الألفاظ العربية التى دخلتها واستقرت فيها، كما أن ثمة ألفاظاً فارسية أصيلة قد عفى عليها الدهر وصار استخدامها من الصعوبة بمكان.

وكان الروائى الإيرانى الشهير سعيد نفيسى كذلك من أشد المتعصبين لفارسيته المنتقدين بشدة لاستخدام اللفظ العربى فى اللغة الفارسية. فالفصاحة لديه ترتبط بسلامة اللفظ نحوياً وصرفياً، وسلامة العبارة تكون بسلامة ألفاظها، وخلوها من الأخطاء، وتحاشى الألفاظ العامية والابتعاد عن المهجور من الكلمات. لذا لم يلجأ فى كتاباته إلى إيراد ألفاظ غير فارسية، رغم تمكنه من اللغتين الفرنسية

والعربية، بل كان معتزاً بقوميته معادياً للعرب إلى أبعد حدود، يقول ما ترجمته:

"إن لغتنا لغة مستقلة وليست تابعة لأية لغة، وما أخذناه عن اللغة العربية يجب أن يكون تابعاً لقواعد اللغة الفارسية، سواء من ناحية القواعد الصرفية والنحوية أو من ناحية الكتابة. كذلك الحال عند النطق بحروفها، فلا يجب علينا مراعاة مخارج الحرف العربى، وربما يأتى علينا يومٌ لانراعى فيه أيضاً الأصل فى الإملاء".٤٤

هذا وقد ظهر فريق من الأدباء ممن يدعون أنصار الفارسية الخالصة (فارسى سره)، وطالبوا بتطهير اللغة الفارسية (پيراستن زبان) عن طريق طرد الألفاظ العربية والأوربية، وإحلال الألفاظ الفارسية القديمة بدلاً منها، واعتبروا وجود مثل هذه المفردات الدخيلة هو أحد الأسباب التى قد تفضى إلى انهيار دعائم الثقافة الوطنية الإيرانية واندثار اللغة الفارسية وزوالها. وكان على رأس هؤلاء أبو القاسم آزاد مراغه اى (ولد عام ١٨٣٩م)، ولتحقيق هذا الغرض أصدر مجلة شهرية بعنوان "نامهءپارسى" عام ١٩٠٦م، اتسمت مقالاتها بالحرص على استخدام الألفاظ الفارسية دون غيرها، كما قدم لقرائه نماذج من الألفاظ الفارسية القديمة لتحل محل المفردات العربية المتداولة فى اللغة الفارسية، منها على سبيل المثال لا الحصر: برماسش بدلاً من حس، تسو بدلاً من ساعت، جلتا بدلاً من جلد، روايش بدلاً من ترويج، سوتام بدلاً من ناقص، فرهنـگيان بدلاً من ادبا، ويزش نامه بدلاً من امتياز...٤٥ ويلاحظ إن مثل هذه الكلمات المقترحة من قبل السيد مراغه اى، كانت من الكلمات المندثرة التى نُسي معناها بمرور الوقت، وكان استخدامها يفضى إلى التعثر فى فهمها على كل إيرانى حتى وإن كان من طبقة المثقفين.

فى مقابل هذه الفئة، نجد فئة أخرى ناقشت الأمر بنوع من الموضوعية، وكانوا يرون أن الألفاظ العربية التى دخلت الفارسية واستقرت فيها قرابة الألف عام قد اكتسبت الجنسية وأصبحت جزءاً من المعجم الفارسى، وأن العرب لايضيرهم استغناء اللغة الفارسية عن هذه الألفاظ أو استخدامها، بل المتضرر هو اللغة الفارسية، يقول الروائى الإيرانى الشهير جمال زاده فى هذا الصدد:

"إن وجود عدة مرادفات لمفهوم واحد فى أية لغة يفضى إلى ثرائها، فلو استخدمنا الكلمة العربية (ثروت) محل الكلمة البهلوية (داراك) فهذا لايعيب اللغة الفارسية بل يعتبر من مميزاتها".٤٦

كما كان الأديب الكبير محمد عبد الوهاب القزوينى من المناصرين للإبقاء على اللفظ العربى فى المعجم الفارسى، وتصدى لدعاة التجديد المطالبين بإحلال الكلمات الأوربية محل الكلمات العربية، يقول:

"إن ما يدعو إلى الدهشة، ظهور بعض الأدباء ممن سعوا إلى طرد جميع الكلمات العربية من اللغة الفارسية، بحجة أنها عنصرٌأجنبى أغار على لغتنا بمقتضى الأحداث التاريخية، لكنهم هم أنفسهم لا يتورعون عن استخدام الكلمات الأوربية ومصطلحاتها فى كتاباتهم. وهذا التناقض يدعو للعجب لسببين، الأول: إن الكلمات العربية التى دخلت الفارسية منذ أكثر من ألف عام، لم يعد ينظر إليها على أنها عنصرٌ أجنبى، مثلها فى ذلك مثل القبائل العربية التى قدمت إلى إيران مع الجيوش الفاتحة أو بهدف التجارة والفلاحة، كالشيبانيين، والغفاريين، والأنصاريين وغيرهم، فبعض هؤلاء أعضاءٌ فى مجلس الشورى الوطنى، فإن كانوا من العرب وليسوا إيرانيين، لمَ انتخبهم الشعب الإيرانى لتمثيله فى المجلس؟! لاشك أنهم من حيث العنصر هم أجانب، لكنهم من حيث القومية فهم إيرانيون، وهكذا يجب أن تُعامل الكلمات العربية التى جاءت معهم إلى إيران. والسبب الثانى: لو كان الغرض هو تخليص اللغة الفارسية من العناصر الأجنبية، فأقول إن هذا دربٌ من المحال، فلا يوجد ميزان حقيقى لتمييز العنصر الأجنبى عن العنصر الأصيل فى لغة ما، ومعظم ما كان فارسياً من وجهة نظر هؤلاء، اكتُشف من بعد أنه أجنبى، وكان الحكم على فارسيته ناشئاً عن قلة الإطلاع فى تاريخ اللغات بوجه عام وتاريخ اللغة الفارسية على وجه الخصوص. وإن كان الغرض هو تخليص اللغة الفارسية من كل عنصر أجنبى، فلمَ الكيل بمكيالين؟ فطرد الكلمات العربية المألوفة لدينا منذ أكثر من ألف عام، واستبدالها بكلمات أوربية جديدة غريبة علينا لمن دواعى السخرية، ولايدل هذا الأمر إلا على السطحية فى المعلومات حول أصول اللغات وتاريخ تطورها".٤٧

وأورد د. برويز خانلرى مثالاً آخر لمثل هذه الحالة وهو اللغة الألبانية، فمن بين (٥١٤٠) مادة مثبتة فى أحد المعاجم الخاصة بهذه اللغة، يوجد (٤٣٠) مادة فقط ألبانية الأصل، وما تبقى مستمدٌ من لغات أجنبية أخرى، كاليونانية، والرومانية والتركية، ومنها (٧٣٠) مفردة مجهولة الهوية.٤٨ معنى هذا أن ما من لغة حية فى العالم تخلو من مفردات دخيلة.

وطالب المنصفون بضرورة الإبقاء على الألفاظ العربية فى اللغة الفارسية كى لا تهوى الأخيرة وتصاب بالفناء العاجل، يقول السيد تقى زاده:

"لقد نشأت اللغة الدرية الحديثة ونمت فى العهود الأولى للإسلام، وصبها أدباء القرنين الرابع والخامس الهجريين فى قالب أدبى، وظهرت هذه اللغة من اختلاط اللغة الفارسية- التى كانت متداولة فى إيران قبل الإسلام - باللغة العربية، وسلكت طريقها إلى الفصاحة والبلاغة مع استخدام فصحاء العجم وكبار أدباء

الشرق لها، وبمرور الوقت صارت لغةً عذبة ملائمة للطبع والذوق".٤٩

وكان لابد من اجراء حاسم من قبل النظام فى إيران إزاء هذه الفوضى اللغوية، فأمر رضا شاه بهلوى (١٩٢٤: ١٩٤١م) بتأسيس المجمع اللغوى الإيرانى (فرهنگستان) عام ١٩٣٥م، وكان من مهامه: العمل على المحافظة على اللغة الفارسية وإعداد قواعد خاصة بها، تنقية اللغة الفارسية من الألفاظ الدخيلة، تحقيق كتب التراث والحث على طبعها وانتخاب الألفاظ والتعبيرات الفارسية الأصيلة منها، جمع الأمثال الشعبية والأغانى المحلية وأخيراً، دراسة اصلاح الخط الفارسى.٥٠

ولاريب أن تأسيس مثل هذا المجمع بشكل رسمى، كان خطوة مهمة وضرورية لكبح جماح الفوضى اللغوية التى صاحبت حركة إحياء القومية الإيرانية، وقد قام المجمع بمهامه طبقاً للائحة، وأعد آلاف الألفاظ والعبارات ونشرها فى قائمة تحت عنوان "مفردات حديثة" ـ واژه هاى نو ـ كما قام بإصدار عدداً من المعاجم تحتوى على الألفاظ المحلية، ودراسات حول اللهجات الإقليمية، بالإضافة إلى إصدار دورية بعنوان: "نامهءفرهنگستان"، لنشر نتائج الأبحاث الخاصة باللغة والأدب والثقافة الإيرانية. بيد أن المجمع قد وقع فى بعض الأخطاء التى حالت دون اتمام الدور المنوط به، حيث اقتصر دوره على إعداد لفظ مقابل آخر، دون توضيح مواضع الاستعمال مدعومة بالشواهد، ونتج عن ذلك استعمال الأفراد لهذه الألفاظ كلٌ وفق هواه، واستُعمل العديد منها فى غير موضعه، وعليه تعرض أعضاؤه للنقد اللاذع.

ورأى يحيى آرين پور أن طريق الإصلاح لن يكون بتطهير اللغة من العناصر الدخيلة أو إحياء المهجور من الألفاظ، بل يتم من خلال:

١. وجوب إحكام حدود اللغة حتى لا تتمكن ألفاظ أية لغة أجنبية من النفاذ إليها بسهولة.
٢. وجوب استعمال الكلمات الدخيلة على اللغة الفارسية والتى مر عليها زمنٌ طويل وألفتها الأذن واعتاد عليها اللسان، فهى فارسية بحكم طول الإقامة وتوافقها مع روح اللغة الفارسية.
٣. وجوب تجنب استعمال الألفاظ الأجنبية التى يوجد معادل فارسى لها.
٤. السعى قدر الإمكان لإيجاد مرادفات فارسية، على أن يتم ذلك بتضافر الجهود على المستويين الرسمى والشعبى.٥١

الخاتمة

١. لقد أخفقت المحاولات الرامية إلى تغيير الأبجدية العربية فى اللغة الفارسية، وظل الخط الفارسى محتفظاً بصورته التى كان عليها لمدة تربو على الألف عام، واحتفظت الحروف العربية بمكانتها، وأضفت الأيام والعصور عليها نوعاً من الهيبة والجلال لارتباطها بلغة القرآن الكريم. أضف إلى ذلك إن اتخاذ حروفاً جديدة مما يقطع الصلة فى إيران بين الماضى والحاضر حيث يُحرم الخلف من الانتفاع بآثار السلف فى كافة العلوم والفنون والآداب، كما أن رسم الخط العربى معمولٌ به فى العديد من الأقطار الإسلامية، وتغيير الفرس له سيحرمهم من الاشتراك فى رسم كتابى يربطهم جميعاً.
٢. واكبت حركة إحياء المجد الإيرانى القديم فى العصر الحديث حركة طالبت بطرد الألفاظ العربية من المعجم الفارسي، باعتبارها لغة دخيلة على مجموعة اللغات الهندوأوربية، لكن هذه المساعى منيت بالفشل الذريع. فقد حظيت اللغة العربية باهتمام بالغ على أرض فارس منذ دخول الإسلام إليها، واستطاعت أن تسد حاجة البسطاء والمثقفين على حدٍ سواء، وحتى بعد إحياء اللغة القومية، نتيجة لحركة الشعوبية فى إيران خلال القرن الثالث الهجرى، لم تتمكن اللغة الفارسية الحديثة من الصمود بمفردها والتخلى عن الألفاظ العربية التى لازمتها لفترات طويلة وصارت جزءاً منها. وعليه لم تفلح الدعوة المطالبة بطرد الألفاظ العربية من اللغة الفارسية، وظلت فى المعجم الفارسى، وواصل الأدباء والعامة استخدامهم لها دون التفكير فى أصولها القديمة.
٣. مع تأجج الحركة الوطنية فى إيران، لجأ بعض الأدباء إلى التدوين بما يسمى الفارسية الخالصة، وعلق بعض القوميين، فى بحثهم عن الذات القومية المستقلة، مشاكلهم على أمور سطحية تصوروا أن فى حلها العلاج الناجح لأزمة الهوية. وظهر دعاة تطهير اللغة الفارسية من جميع العناصر الأجنبية، وسعوا لإحياء الألفاظ الفارسية الأصيلة. وقد جوبه هذا التيار باعتراضات شديدة نظراً لما اتسمت به كتاباتهم بالصعوبة لاستخدامهم المهجور من الألفاظ.

المصادر والمراجع

١- دهخدا: لغت نامه، انتشارات دانشگاه تهران، چاپ ١٣٢٧هـ.ش، مقدمه، ص٩.
٢- تقى زاده: يادگار، شمارهءششم، سال چهارم، فوريه ـ مارس ١٩٤٨م، ص٥،ص٧.
٣- المرجع السابق، ص٥.
٤- رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسى، ترجمة د/موسى هنداوى، دار الفكر

العربی، ص١١.
٥- محمد السعید عبد المؤمن (دکتور): الأسالیب الفارسیة المعاصرة، الطبعة الأولی، القاهرة ١٩٧٦م، ص١٧.
٦- غلامحسین غلامحسین زاده (دکتر): جمله سازی ساده فارسی (برای عرب زبانها)، سازمان مطالعه وتدوین کتب علوم انسانی دانشگاها (سمت)، تهران ١٣٨٩ هـ.ش، ص٢، ص٣.
٧- جهانگیر صلح جو: تاریخ مطبوعات در ایران وجهان، چاپ اول، تهران ١٣٤٨ هـ.ش، ص١٨.
٨- المرجع السابق، ص٢٠.
٩- یحیی آرین پور: از نیما تا روزگار ما، چاپ اول، تهران ١٣٧٤ هـ.ش، ج٣، ص٣٩،ص٤٠.
١٠- فرشته‌ءنورائی: تحقیق در افکار میرزا ملکم خان ناظم الدوله، تهران١٣٥٢ هـ.ش، ص١٠٥.
١١- المرجع السابق، ص١٠٠.
١٢ Rypka (Jan):Ahistory Of Iranian Li 196,terature,Dordrocht,Holland .336 .PP,7
١٣- فرشته‌ءنورائی: تحقیق در افکار میرزا ملکم خان، ص٩٨، ص٩٩.
١٤- یحیی آرین پور: از نیما تا روزگار ما، ج١، ص٤١،ص٤٢.
١٥- محمد عبد اللطیف هریدی (دکتور): الأدب الترکی الإسلامی، المملکة العربیة السعودیة، طبع عام ١٩٨٧م، ص١٩٤، ص١٩٥.
١٦- مصطفی الزین: ذئب الأناضول، الطبعة الأولی، قبرص ١٩٩١م،ص٢٥٤ وما بعدها.
١٧- مجله‌ء یادگار، سال چهارم، شماره‌ءشش، ص٣٩ حاشیة.
١٨- یحیی آرین پور: از نیما تا روزگار ما، ج٣، ص٤٦ حاشیة.
١٩- المرجع السابق، ص٤٨.
٢٠- المرجع السابق، ص٤٧، ص٤٨.
٢١- سبق الإشارة إلی جهود الأتراك فی هذا المجال ، أما عن الشعوب السوفیتیة المتحدثة باللغة الترکیة، فقد کان لها اهتمام خاص بمسألة تغییر الأبجدیة العربیة بعد ثورة أکتوبر من عام ١٩١٧م، ومع تشکیل أول مجلس للجمهوریات السوفیتیة فی مدینة باکو فی شهر مارس من عام ١٩٢٦م وافق أعضاؤه علی إحلال الخط اللاتینی محل الخط العربی واختیار أبجدیة تناسب الشعوب الناطقة بالترکیة، لکن تم العدول عنها من بعد لأسباب سیاسیة، وراج استخدام خطاً آخر فی آذربایجان وغیرها من الجمهوریات السوفیتیة مع حلول عام ١٩٣٩م وکان مقتبساً من الألفباء الیونانیة.
٢٢- المرجع السابق، ص٣٨.
٢٣- المرجع السابق، ص٣٦.
٢٤- نفسه.
٢٥- نفسه، ص٣٥.
٢٦- پرویز خانلری: زبان شناس وزبان فارسی، چاپ سوم، تهران ١٣٤٧هـ.ش،ص٢٦٩
& از نیما تا روزگار ما، ج٣، ص٣٥.
٢٧- پرویز خانلری: زبان شناس وزبان فارسی، ص٢٦٩.
٢٨- از نیما تا روزگار ما، ج٣، ص٣٦.
٢٩- مجله‌ءوحید، شماره‌ء١١١، مارس١٩٧٢م، ص٦٢.
٣٠- سخنرانی وبحث درباره‌ء زبان فارسی، انتشارات وزارت فرهنگ وهنر، تهران١٣٥٢هـ.ش، ض١١٠.
٣١-مجله‌ءوحید، شماره‌ء١١٣، مایو١٩٧٢، ص٦٢.
٣٢- سخنرانی وبحث در باره‌ءزبان فارسی، ص١١٢.
٣٣-مجله‌ءوحید، شماره‌ء١١١،مارس١٩٧٢م، ص١٣٦٤، ص١٣٦٥.
٣٤- مجله‌ءوحید، شماره‌ء ١١٢، إبریل ١٩٧٢م، ص٨١، ص٨٢.
٣٥- پرویز خانلری: زبان شناس وزبان فارسی، ص٢٧١.
٣٦- مجله‌ءیغما، سال بیست وپنجم، شماره‌ءاول، ١٣٩٢هـ.ش، ص٣٤، ص٣٥.
٣٧- سخنرانی وبحث درباره‌ءزبان فارسی، ص١١٠.
٣٨- پرویز خانلری: زبان شناس وزبان فارسی، ص٢٧١.
٣٩- محمد التونجی (دکتور): المجموعة الفارسیة، ط٣، دمشق١٩٦٩م، ص٧٢.
٤٠- محمد جعفر محجوب: تحقیق در احوال وآثار وافکار واشعار ایرج میرزا وخاندان ونیاکان او، تهران ١٣٥٣هـ.ش، ص١٦٨.
٤١- رسالة باریس بتاریخ ١٧ نوفمبر ١٩٢٤م، بیست مقاله، ج١، ص٩٩ ، ص١٠٠.
٤٢- محمد السعید عبد المؤمن (دکتور): الأسالیب الفارسیة المعاصرة، ط١، القاهرة ١٩٧٦م، ص٣٨.
٤٣- یحیی آرین پور: از نیما تا روزگار ما، ج٣، ص٢٣.
٤٤- مجموعه‌ءسخنرانی ها ومقالات مجلس علمی استادان زبان وادبیات فارسی، تدوین وتنظیم توسط دفتر روابط وهمکاری های دانشگاهی، ص٢٢٢.
٤٥- مجله‌ءوحید، شماره١١٣، مه١٩٧٢م، ص٥٤&از نیما تا روزگار ما، ج٣، ص١٧ حاشیة.
٤٦- یکی بود ویکی نبود، کانون معرفت، تهران ١٣٣٧هـ.ش، مقدمه.
٤٧- بیست مقاله، ج١، تهران١٣٣٢هـ.ش، ص٨٧: ٩٠.
٤٨- زبان شناس وزبان فارسی، ص١٢٨.
٤٩- مجله‌ءیادگار، سال چهارم، شماره‌ءششم، ١٩٤٨م، ص١: ٩.
٥٠- یحیی آرین پور: از نیما تا روزگار ما، ج٣، ص٢٠.
٥١- از نیما تا روزگار ما، ج٣، ص٣٠، ص٣١.